شمس الدين سامي فراشري
الرائد الأول في البلاد الإسلامية
لقاموس الاعلام

عدنان مردم بك

□ **تمهيـــد :**

المغمورون من الرجال في كل عصر كثيرون ، ومرد هذا ، يعود الى عوامل عديدة ، منها سياسية ، ومنها اجتماعية ، ومنهـــا يعود الى سوء الطالع .

فعامل السياسة ، له دوره الفعال ، وأثره الكبير ، اذ لا ينكر أهميتـــه ، فمذهب الامام أبي حنيفة النعمان على جلالة مذهبه لم يكن انتشاره من باب الصدف ، وانما يعود الى تلميذه أبي يوسف الذي كان قاضياً أيام الخليفة المهتدي العباسي والخليفـــة هـــرون الرشيد ، وهما من علمت من الخلفاء العظام .

فأبو يوسف هو الذي قام بتوطيـــد المذهب الحنفي مع الامـــام محمد تلميذ أبـــي حنيفة النعمان أيضاً في حين أن الامام الأوزاعي الذي لا يقل شأناً ومنزلة عن الامامـــين أبي حنيفة والشافعي ، لم يرزق بتلامـــذة وأنصار مهدوا لانتشار مذهبـــه على جلالة منزلتـــه ، وانما كانوا عامـــلا على ضيـــاع مذهبه واندثاره لعدم تحمسهم لـــه . وقديماً قيل : زمر الحي لا يطرب ، وأول من ضيعه الشاميون وهم خاصته .

ولا بأس بايراد نبذة عـــن حياة الاوزاعي .

هو عبدالرحمن بن عمرو الأوزاعي من قبيلة الاوزاع ، امام الديار الشاميـــة في الفقه والزهد ، وأحد الكتاب المترسلين ولد في بعلبك « وهي من الشام » سنة ٨٨ ونشـــأ في البقاع ، وسكن بيروت وتوفي بها في سنة ١٥٧ .

له كتاب السنن في الفقه والمسائل ، ويقدر ما سئل عنه بسبعين ألف مسألة أجاب عليها كلها ، وكانت الفتيا ، تدور بالأندلس على رأيه الى زمن الخليفة الحكم بن هشام، ولأحد العلماء كتاب محاسن المساعي في مناقب الأوزاعي ، نشره الأمير شكيب آرسلان ،ولم يعرف مؤلفه ٠

فمن سوء حظ الأوزاعي ، أنه لم يرزق بتلامذة مخلصين شأن الامامين أبي حنيفة والشافعي ٠

وأن سوء الحظ هذا ، كان من شأن الكاتب الكبير أبي حيان التوحيدي ، اذ وجد زمن الوزيرين ابن عباد والصاحب بن عباد، وهما كاتبان كبيران لهما طريقة خاصة في زمنهما فتنت الناس واستحوذت على اعجابهم، بالاضافة الى انهما وزيران كبيران والسلطة في أيديهما والمتزلفون كثيرون في كل عصر ٠

جاء أبو حيان يبغي التكسب من الوزيرين وهو أجل منهما قدراً في فن الكتابة والتأليف ، ولكنهما تنكرا له حسداً وحقداً وعهدا اليه بوظيفة ناسخ ، وكانا يقتران عليه سبل العيش حتى ضاق بهما ذرعاً ، واستعفى من الوظيفة ، وعاد الى بغداد خائباً ، صفر اليدين ٠

لم يرزق أبو حيان على جلالة قدره الحظ ، فكسدت كتبه وهي تشهد له بالتفوق ورسوخ القدم بالمعرفة مما دعاه الى جمعها واعمال النار بها ، حتى لا ينتفع أحد بها من بعده ٠

ولم يصل لنا من كتبه العديدة الا نتف قليلة منها : كتاب المقابسات ، وكتاب مثالب الوزيرين وكتاب الامتاع والمؤانسة ، وهي كتب جليلة تشهد له بجلالة القدر في الكتابة ٠

وما حل من سوء الطالع بالامام الأوزاعي وأبي حيان التوحيدي ، أصاب رشاشه وصيبه العالم المؤرخ شمس الدين سامي فراشري (الالباني) ، الكاتب الكبير ، والحجة اللغوي ٠

(ولد سامي فراشري سنة ١٨٥٠ في قرية فراشر FRASHER في جنوب البانيا ، في عائلة تميزت بدورها الكبير في النهضة القومية الالبانية ٠ وقد تميز سامي فراشري منذ طفولته باهتمامه باللغات والثقافات الكلاسيكية ، حتى أنه حين ذهب الى استنبول في الحادية والعشرين من عمره كان يعرف العربية والتركية والفارسية واليونانية والفرنسية والايطالية ويتكلمها بطلاقة، بالاضافة طبعاً الى لغته الالبانية ٠ وخلال اقامته الطويلة في عاصمة الامبراطورية العثمانية ، التي امتدت الى وفاته سنة ١٩٠٤ ، ألف حوالي ستين كتاباً

في مختلف اللغات ، وفي مختلف مجالات الثقافة · فبعد سنة من اقامته في استنبول نشر رواية « عشق طلعت وفتنة » ، التي تعتبر أول رواية في الأدب التركي ، ونشر بعدها عدة مسرحيات رائدة ، قبل أن يلتفت الى الأبحاث اللغوية والأدبية والتاريخية · وقد توج حياته بعمله الموسوعي الضخم « قاموس الأعلام » بأجزائه الستة التي صدرت في استنبول خلال ١٨٨٩ ـ ١٨٩٨ ، والتي تضمنت حوالي خمسة آلاف صفحة من القطع الكبير·

كان سامي فراشري قد تعلم العربية في طفولته ، ولكن معرفته باللغة العربية وثقافتها قد تعمقت كثيراً في استنبول حتى أنه ألف عدة كتب حول اللغة العربية وأدبها، أو في اللغة العربية · وتجدر الاشارة هنا الى أن سامي فراشري قد عمل في طرابلس الغرب خلال سنة ١٨٧٤ مديراً لتحرير جريدة الولاية « طرابلس الغرب » التي كانت تصدر بالعربية والتركية ، وخلال عمله نشر في هذه الجريدة كتابه « تاريخ طرابلس الغرب » ، كما أنه كتب خلال اقامته في طرابلس مسرحيته المشهورة « العهد » · أما فيما يتعلق بمؤلفاته في اللغة العربية وأدبها فيكفي أن نذكر هنا « القواعد الصرفية العربية » (١٨٨٧) و « القواعد النحوية العربية » (١٨٨٧) و « القاموس العربي التركي » (١٨٨٩) و « تطبيقات عربية »(١٩٠٠) و « منتخبات من أشعار علي بن أبي طالب » (١٩٠٠) ، فيما بقيت في مخطوطاته « منتخبات عربية » و « المعلقات السبع » الخ · وفي الواقع أن الكتيب الوحيد الذي صدر له في اللغة العربية هو «همة الهمام في نشر الاسلام » ، يدل على مدى سيطرة سامي فراشري على اللغة العربية · فباستثناء العنوان والمقدمة ، التي يبدو فيها مجاملة المؤلف للاسلوب السائد حينئذ ، نجد أن بقية الكتب تتميز بأسلوب عربي متقدم على عصره·

ومن ناحية أخرى ، فان مؤلفات سامي فراشري ، بالاضافة الى مقالاته الكثيرة التي نشرت له في الصحف والمجلات ، تكشف بوضوح عن مدى معرفته بالتاريخ الاسلامي ، وبشكل عام بالحضارة الاسلامية ، التي خصص لها كتابه « المدنية الاسلامية » الذي صدر في استنبول عام ١٨٨٥ ·) (١) ·

فالمطالع لسيرة الكاتب شمس الدين سامي فراشري ، لا يسعه الا احناء الرأس اجلالا له ·

ولكن العجب أن يبقى غفلا منسياً وقاموس الأعلام وحده ثبت ناطق على جليل عمله، اذ كان له فضل السبق على كل من أتى بعده ممن حذا حذوه ، فمعجمه طبع سنة ١٨٨٩ ميلادية أي في أواخر القرن التاسع عشر ·وهو ترجمة لجميع الأعلام في الشرق والغرب الذين عاشوا في البلدان الاسلامية ، سواء أكانوا رجال فكر أم حكاماً أم قواداً مدنيين أم عسكريين ، مسلمين أم غير مسلمين منذ العصور القديمة حتى يوم وفاة المؤلف ·

والمؤلف ذكر في مطلع الجزء الأول من قاموس الأعلام « أنه أتى على ذكر كافة الأقوام من أنبياء وخلفاء وصحابة وتابعين ورجال حديث وأبطال وملوك وأمراء ووزراء وعلماء وفقهاء ، ورجال دين ، ومؤرخين وفلاسفة وأشخاص أسطورية ، في الشرق والغرب ، قديماً وحديثاً ، من تفصيلات تاريخية وجغرافية على حروف الهجاء ·

ولقد كان المؤلف ، دقيقاً في تراجمه التي جاء بها ، منقباً للنصوص ، متحرياً للحقيقة· ولقد أتى المؤلف في اعلامه بفتح جديد لاينكره عليه ، الا جاحد أو جاهل ·

وكان لقاموسه في شتى البلاد الاسلامية الأثر الحميد في نفوس المطالعين · لكن سوء حظ المؤلف ان جاء مصطفى أتاتورك رئيس جمهورية تركية وأبطل الأحرف العربية ، مستعيضاً عنها بالأحرف اللاتينية ، الأمر الذي أسدل الحجاب على هذا العمل الجبار ، اذ لم يُنقل هذا القاموس الى التركية الحديثة ، مما جعله نسياً منسياً(٢) ·

وحدث أن كنت أتحدث مع الصديق المرحوم الشاعر أنور العطار منذ عشر سنوات ونيف عن عظمة القاموس الذي قام به الأستاذ شمس الدين سامي ، فقال لي الأستاذ العطار رحمه الله : انه عاتب الأستاذ خير الدين الزركلي صاحب قاموس الأعلام الحالي ، على اهماله في عدم ادراج الكاتب شمس الدين سامي فراشري الرائد الأول ، غير أن الاستاذ الزركلي نفى معرفته لقاموس شمس الدين سامي ، فأجابه الأستاذ العطار ، ان هذا لشيء عجيب ، اذ أن الأستاذ خير الدين الزركلي يتقن اللغة التركية والقاموس مطبوع ، ولا تكاد تخلو منه مكتبة من المكاتب في البلدان العربية والأوربية مما جعل الأستاذ الزركلي يلوذ بالصمت ·

★ ★ ★

ان الذين كتبوا عن هذا العالم الجليل شمس الدين فراشري في المراجع العربية قلة جداً ، اذ جاء ذكره في الموسوعة العربية الميسرة الطبعة الثانية ، وفي المنجد للآباء اليسوعيين قسم الأعلام ·

هذه لمحة خاطفة عن سيرة علم من الأعلام المغمورين وما أكثرهم عند شتى الأمم ·

عدنان مردم بك

□ الحواشـي :

١ ـ راجع مجلة العربي العدد ٣٢٥ ديسمبر ١٩٨٥ عرض كتاب[همة الهمام في نشر الاسلام] للدكتور م٠ موفاكو ٠

٢ ـ (ومن المثير أن نذكر هنا أن المؤلف ، وعلى الرغم من حماسه هنا لتدوين لغات الشعوب الاسلامية بالحروف العربية، قد ارتد لاحقاً عن موقفه ، الى حد أنه لعب دوراً مؤثراً في التخلي عن الحروف العربية لصالح الحروف اللاتينية في أهم تجربتين : العثمانية والالبانية ٠ وفي الواقع لقد كان سامي فراشري قبل تاليف هذا الكتاب يتطلع الى أن تكتب لغته القومية (الالبانية) بالحروف اللاتينيـة ٠ وفي هـذا الاتجاه كان قد نشر مقالا في جريدة « صباح » خلال آذار ١٨٧٦ ، يطالب فيه بوضوح أن تكتب اللغة الالبانية بالحروف اللاتينية ٠ وبعـد عدة سنوات أي في ١٨٧٩ أسس في استنبول مع بعض الشخصيات القومية الألبانية « رابطـة نشر الكتب الألبانية » التي كان رئيسا لها ٠ وقد تبنت هذه الرابطة في السنة ذاتها الحروف اللاتينية كأساس للغة الالبانية،وكان لنشر الكتب في هـذه الأبجدية ضجـة كبيرة في عاصمـة الامبراطورية العثمانية ، حيث اعتبرت هذه البادرة « تهديداً لسلامة الامبراطورية العثمانية ولوحدة الاسلام » ٠ وفيما يتعلق باللغة التركية أيضة كان سامي فراشري أول من طرح بشكل علني التخلي عن الحروف العربية ، ووضع أبجدية لاتينية للغة التركية ، وذلك في مقدمته للقاموس الفرنسي التركي التي كتبها في آذار ١٨٨٣ ٠

قد لا يبدو من المستغرب أن يعود سامي فراشري بعد سنة واحدة من هذا ، أي في عام ١٨٨٤ ، الى التعبير عن موقف آخر في كتيبه الذي نشره حينئذ في اللغة العربية ٠ الا أن هذا يبدو كموقف لحظي فقط ، لأن المؤلف سرعـان ما تناسـاه في أعماله اللاحقة ٠) المرجع السابق ٠